مجلة كلية الدعوة الإسلامية

العدد الثامن عشر
2001

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعة - محكمة تصدر سنويا

1369 من وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم 2001 من ميلاد المسيح عليه السلام

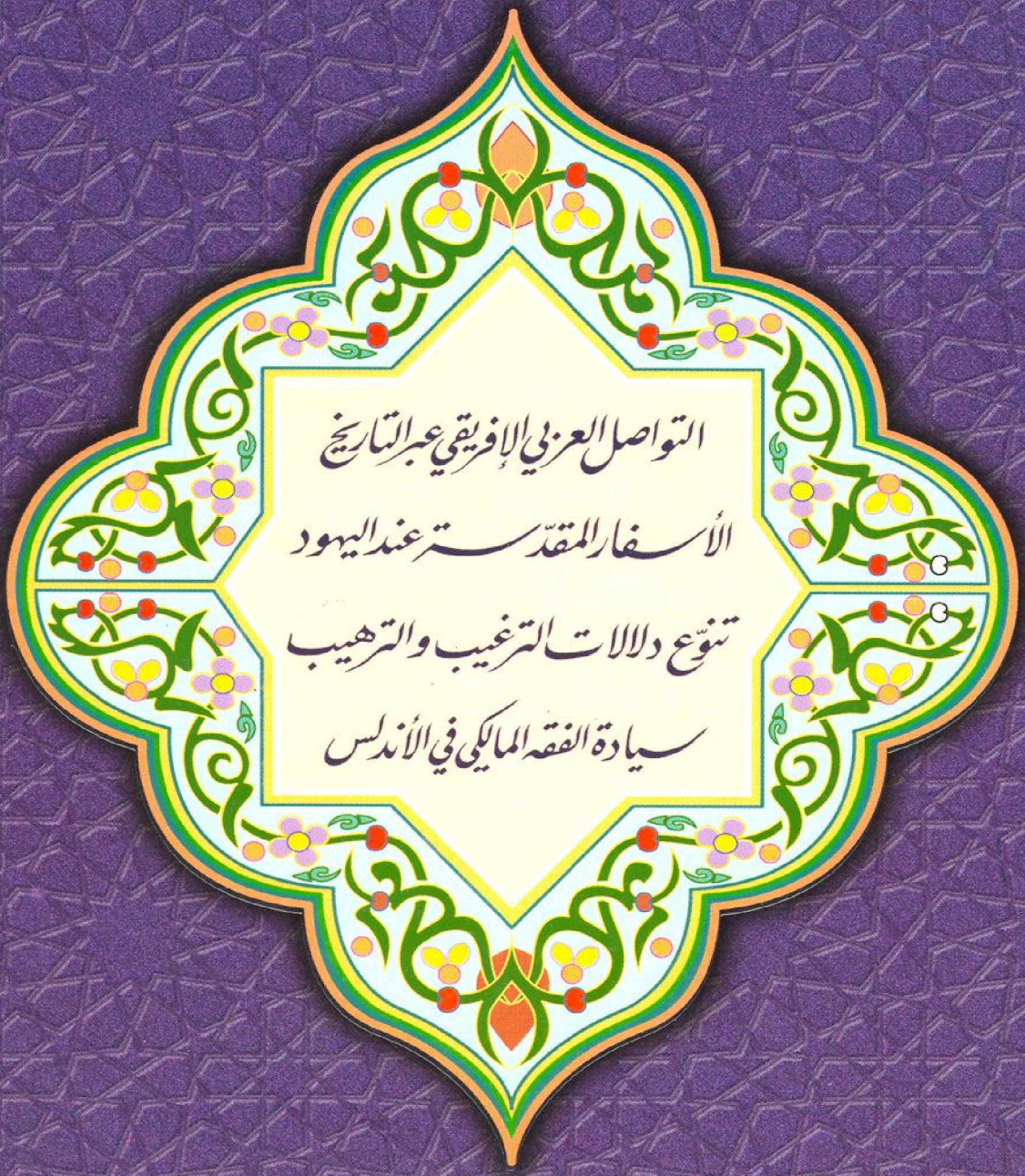

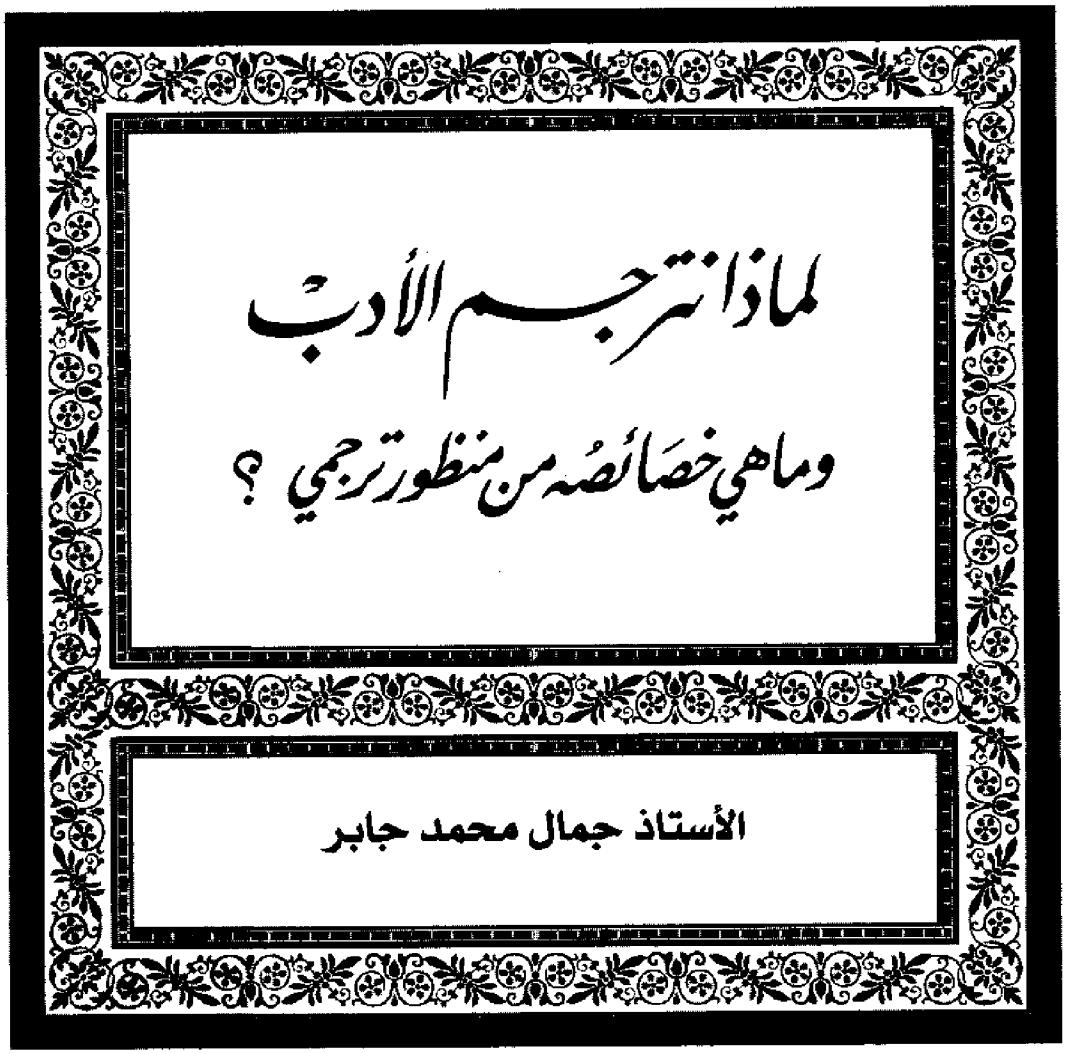

1 ـ لماذا نترجم الأدب؟

قد نحتاج للإجابة عن هذا السؤال إلى بحث كامل، لما يقتضيه الأمر من شرح مفصّل وتعليل مقنع، وهو ما يضيق المقام هنا عن فعله، غير أنه لا مناص من تقديم إجابة موجزة بالقدر الذي يخدم هدف هذا المقال ووحدته المنطقية. وللإجابة عن هذا السؤال، لا بد من الإجابة عن سؤال آخر قبله؛ وهو: لم الأدب؟ أي لماذا نكتب الأدب، ولماذا نقرأه[1]؟ نحن نكتب الأدب ونقرأه

(1) انظر: تيسر شيخ الأرض: رسالة الترجمة رسالة الكتابة، الفكر العربي، السنة العدد 60، معهد الإنماء العربي، بيروت، أبريل ـ يونيو 1990، ص: 173.

لحاجتنا إلى تحقيق المتعة والفائدة[2]، والمتعة قد تكون تلبية لحاجة روحية في أنفسنا وهي تتحقق من خلال الإفصاح عن كل ما يختلج في أنفسنا من حب وكره، ولذة وألم، وفوز وإخفاق، وإيمان وشك، ورجاء ويأس، وخوف وطمأنينة، وفرح وحزن. كذلك لحاجتنا إلى الحقيقة لكونها نوراً نهتدي به في حياتنا. والحقيقة قسمان؛ حقيقة ما في أنفسنا، وحقيقة ما في العالم من حولنا، فضلاً عن حاجتنا إلى الجمال وتعطشنا إلى الجميل في كل شيء وميلنا إليه، على الرغم من تضارب أذواقنا وتباينها. كما تتحقق المتعة من خلال حاجتنا إلى الموسيقا وميل أرواحنا إلى ما يأتلف من أصوات وألحان ونفورها عما يتنافر منها.

تلك هي أبرز جوانب الحاجة الروحية التي يتحقق بها استمتاعنا بالأدب، كتابة وقراءة، وهي وإن تنوّعت بتنوّع الأفراد والأمم، فلا تتنوّع بجوهرها، بل بقدر شدتها وشعورنا بها[3].

أمّا فائدة الأدب، فمنها تحقيق المتعة نفسها، وما تكتسبه أنفسنا من جراء ذلك من راحة وتجدّد وانطلاق. ومن الفوائد الأخرى أن الأعمال الأدبية، والفكرية مثلها، تساعد على الإسراع في نضج فكر الإنسان وانتقاله من مرحلة إلى أخرى، لأنها تساعد على تفجير التناقضات وحسم الصراعات وكشف الحقائق ونشرها، كما حدث فعلاً مع رواية «الأُم» لغوركي في عصر «لينين»، الذي نظر إليها من وجهة نظر سياسية وعقائدية[4]. ذلك لأن ارتباط الإنسان بالأدب كارتباطه بالحياة، «ففي الأدب يرى نفسه ممثلاً ومشاهداً في وقت واحد. هنالك يشاهد نفسه من الأقماط حتى الأكفان. وهنالك يمثل أدواره المتلوّنة بلون الساعات والأيام. وهنالك يسمع نبضات قلبه في نبضات سواه، ويلمس أشواق روحه في أشواق روح غيره. ويشعر بأوجاع جسمه في أوجاع جسم إنسان مثله. هناك تتخذ عواطفه الصماء لساناً من عواطف الشاعر. وتلبس

---

(2) See: Wellek, René and Warren, Austin, The Theory of Literature, Renguin Books, London, 1985, P.31.

(3) انظر: ميخائيل نعيمة: الغربال، مؤسسة نوفل بيروت، ط10، 1975، ص70.

(4) انظر: حنا مينه: هواجس في التجربة الروائية، دار الآداب، بيروت، ط2، 1988، ص147.

أفكاره رداء من نسيج أفكار الكاتب، فيرى من نفسه ما كان خفياً عنه، وينطق بما كان لسانه عَيِيّاً عن النطق به، فيقترب من نفسه ويقترب من العالم. فربّ قصيدة أثارت فيه عاصفة من العواطف. ومقالة تفجّرت لها في نفسه ينابيع من القوى الكامنة. أو كلمة رفعت عن عينيه نقاباً كثيفاً. أو رواية قلبت إلحاده إلى إيمان، ويأسه إلى رجاء، وخموله إلى عزيمة، ورذيلته إلى فضيلة. تلك مزية قد خصّ بها الأدب[5].

وفضلاً عن ذلك، فللأدب فوائد ثقافية ولغوية وربما علمية أيضاً، ففيه نشر للثقافة وتجدّد لها، وفيه كسب للغة وإغناءٌ لها، وفيه تعليم للجاهل بما لا يعلم، وتسجيل للحوادث والوقائع، ونقل لخبرة السابقين وتجديدها، وتأكيد للحقائق العامة، وترسيخ للقيم الإنسانية، وكلّها لبنات ضرورية لبناء صرح الحضارة عامة.

والآن، وبعد هذا التقديم الموجز لأهمية الأدب، يأتي دور الإجابة عن السؤال الأساسي؛ وهو: لماذا نترجم الأدب؟

تنطلق أهمية ترجمة الأدب من أهمية شيوعه ليتجاوز حدود الفردية والإقليمية، إلى الحدود العالمية، أو الإنسانية عامة، يقول الفنان الإيطالي ليوناردو دافنشي: من يستطيع بلوغ النبع لا يشرب من الجرة[6]، والترجمة هنا هي بمنزلة تلك الجرة، التي يلجأ إليها من يعجز عن قراءة الأدب في لغته الأصلية، لأي سبب كان. ولترجمة الأدب، كما للترجمة عامة، أهداف رئيسة ثلاثة. أولها شخصي، يكون محوره المترجم الذي يقوم بالفعل، أو طالب الفعل، والثاني قومي، ويكون محوره أدب شعب من الشعوب، أو أمة من الأمم، والثالث هدف إنساني عام، يكون محوره الإنسانية عامة وما يتعلّق بها من قيم[7].

---

(5) ميخائيل نعيمة: الغربال، ص26، 27.

(6) انظر: حكمت لميا: حول قضايا الترجمة، الموقف الأدبي، السنة 17، العددان 202، و203، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، آذار 1988، ص116.

(7) انظر: شوكت يوسف: أهمية الترجمة وضرورتها في المجتمع العربي، الموقف الأدبي السنة 17 العددان 202 و203، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، آذار 1988، ص163.

أمّا الهدف الأول، فهو تلبية لحاجة شخصية ورغبة في الاستفادة من نتاج عقول الآخرين وخبراتهم وثقافاتهم، والتمتع بذلك النتاج: من خلال المشاركة الوجدانية بين المؤلِّف والمترجم، أو قارئ الترجمة، وما ينتج عن ذلك من غوص في عالم الخيال الذاتي.

والهدف الثاني هو حقن الأدب القومي وتغذيته بدم جديد، بغية تنشيطه والرفع من مستواه، وجعله أكثر شمولاً لنماذج من الآداب، وانتشار الثقافة والخروج بها من نطاق القومية أو الإقليمية. وإذا ما ازدهر أدب أمة، كان ذلك علامة على ارتقائها سلم التقدّم والازدهار المادي والثقافي، لأن الترجمة كانت دائماً أيسر السبل لقطف ثمار الحضارات المجاورة وتناولها. وغالباً ما يحدث هذا التلاقح وتلك الاستزادة بين الآداب التي تربطها روابط معيّنة، كالجوار والتبعية السياسية والثقافية، والحاجة الموافِقة وغيرها. هكذا، فإن اتصال أدبين يعني قيام جسر بين ثقافتين، تنتشر من خلاله روائع الأدب والفكر، وذلك ما فعله كثير من الشعوب والأمم، وكان للمترجمين فيه دور فعّال ومرموق.

أمّا الهدف الثالث، فهو الهدف الإنساني الشامل، الذي يتحقق من خلاله انتقال القيم الإنسانية وانتشارها، حيث تُحدِثُ أرضية صلبة للتقارب والتفاهم بين الشعوب والأمم. وترجمة الأدب هي التي تساعد على تشكّل النماذج الإنسانية العامة، وتعمل على إنتاج لغة أخرى، تكون قاعدتها التجارب الإنسانية العامة، فهي أقرب إلى اللغة العالمية منها إلى المحلية أو الإقليمية. وما شيوع الآثار الأدبية وتسميتها بالخالدة إلا دليل على ذلك، لأنها أصبحت تراثاً للإنسانية عامة.

كما أن هناك جملة من الأهداف الثانوية لترجمة الأدب منها الأهداف التجارية، والشهرة الذاتية للمترجمين والقائمين على عملية الترجمة. ومنها ما يهدف إلى التغلّغل الثقافي والتبعية السياسية، وهي دوافع دنيا لا ينبغي أن يتخذها المترجم أساساً في قصده لترجمة الأدب.

2 ـ خصائص النص الأدبي في منظور الترجمة:

تفطّن الأدباء والمترجمون والنقاد، منذ القدم، إلى أن عملية الترجمة عامة

تكتنفها مشكلات متعدّدة، وأن ترجمة النص الأدبي خاصة، تثير مشكلات تكون عادة متميّزة، قد لا تثيرها ترجمة نص آخر، ذلك لأن النص الأدبي نفسه ذو خصائص تميّزه عن غيره. ومن الذين تفطنوا إلى المشكلات الخاصة التي تثيرها ترجمة النص الأدبي الجاحظ والجرجاني، عندما تحدّث الأول عن نقل الشعر[8] وتحدّث الثاني عن ترجمة الاستعارة[9].

وعلم الرغم من انضواء بعض النصوص الفلسفية تحت صنف التعبيرية، مثلها في ذلك مثل النص الأدبي، فإنها تتميّز بوفرة العناصر الإبلاغية Communicative Elements وتناول العموميات أكثر من الجزئيات، والتفسير والتعريف أكثر من التصوير والإيحاء، كما هي الحال في النص الأدبي[10].

والخصائص التي تميّز النص الأدبي هي:

1 ـ سيطرة الوظيفة التعبيرية:

يشتمل النص الأدبي عادة على رؤية المؤلِّف الخاصة إلى الكون، وفهمه الخاص للواقع الذي ضمَّنه ذلك الأثر، فهو يتحدّث عن نفسه ويصف عواطفه وانفعالاته وتفاعله مع الوجود من حوله[11]. وهو يستخدم اللغة لخدمة ذلك الغرض، فهي التي تنقل لهجته الخاصة وموقفه وتعمل على إحداث التأثير في القارئ، واقتناعه بتلك الرؤية وذلك الموقف[12]! وعاطفة المؤلِّف عنصر مهم من العناصر التي تكوّن النص الأدبي وتخدم الوظيفة التعبيرية فيه. وهي التي تضفي عليه صفة الدوام بخلاف النص العلمي، مثلاً، الذي يكون خاضعاً للعقل، ومن ثم سريع التغيير[13].

---

(8) انظر: الجاحظ: الحيوان، 1: 54 وما بعدها.

(9) انظر: الجرجاني: أسرار البلاغة ص26، ثم راجع: محمد الهادي الطرابلسي بحوث في النص الأدبي، الدار العربية للكتاب، طرابلس ـ تونس، 1988، ص101.

(10) See Newmark, Approaches to Translation, p.64.

(11) See: Delisle, Translation: An Interpretive Approach, p.14.

(12) See: Wellek and Warren, The Theory of Literature, p.23.

(13) انظر: عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، دار النهضة العربية، بيروت، ط2، 1972، ص106.

«وللصلة بين الأدب والعاطفة مظاهر تتجلى في الأديب، وفي القارئ، أو السامع، وفي منابع الإنتاج الأدبي من البيئة والفطرة، فهي للأديب مبعث لخواطره وشاحذ لإنتاجه، وهي للقارئ أوتار حساسة يجد في رنينها ونغماتها المعاني الحافزة، وهي للإنتاج الأدبي كالشذى يعطّر أرجاءه، أو كالماء العذب النمير تنبعث منه الحياة»[14]. لذلك فالأثر الأدبي يتجلى فيه مزاج الأديب وطبعه وخلقه ومذهبه في الحياة وثقافته وتفسيره للأشياء. كما تتضح فيه كلماته المفضّلة وجمله وطريقة تصويره وتعبيره[15].

وتعتمد قوة الأثر الأدبي ووحدته على متانة انطباعات الأديب واتساقها، لأنها هي التي تكوّن الجو العام للنص. ولذلك كلّه فإن الوظيفة التعبيرية للغة في النص الأدبي هي السائدة، بل المهيمنة[16]. والمترجم الجيد هو الذي ينجح في نقل معنى النص دلالياً من خلال المحافظة على رؤية المؤلِّف ولهجته الخاصة وموقفه وعواطفه.

2 ـ القدرة الإيحائية:

«يعدّ الأدب بنوعيه الشعري والنثري تربة خصبة لاستقلال الدلالات الهامشية [وهي ظلال المعاني] لغرض تحقيق المتعة الفنية في النص الأدبي والتأثير في المخاطبين، وإشراكهم وجدانياً في التجربة الشعورية. ويتفاوت الأثر الوجداني الذي يحس به المتلقون باختلاف درجة اكتناز النص المقروء أو المسموع بالإيحاءات العاطفية، ومدى ما يكون لتلك الإيحاءات من صدى وجداني في نفس الملتقي»[17] وتعمل الصور البيانية على إضفاء القدرة الإيحائية للنص الأدبي، وذلك لارتباطها بالخيال الذي هو من وسائل الأديب في التصوير. والخيال يلوّن النص الأدبي ويبث فيه الحياة والحركة. ويرتبط الخيال

---

(14) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(15) انظر: أحمد الشايب: الأسلوب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط7، 1976، ص: 127.

(16) See: Delisie, Translation: An Interpretive Approach, p.14.

(17) محمد محمد يونس علي: وصف اللغة العربية دلالياً في ضور مفهوم الدلالة المركزية (رسالة ماجستير مخطوطة)، كلية اللغات، طرابلس، ليبيا، ص170.

بالعاطفة؛ فكلما كانت العاطفة قوية، كانت الحاجة إلى الخيال أقوى، حتى تُظهِر روعتها وتُحدِثَ تأثيرها[18]. ولهذا لم تكن كل جوانب الرسالة في النص الأدبي واضحة، بل تبقى جوانب منها غامضة، نتيجة استغلال الأديب للدلالات الهامشية. وتنتج القدرة الإيحائية كذلك من النسق الذي يتخذه الأديب للكلمات وإيقاعات الجمل والأصوات بما يخدم رسالة النص، وكل ذلك مطلوب من مترجم النص الأدبي نقله. وتكون مهمة المترجم أصعب عند نقل الشعر، لأن الشكل في الشعر يكون ذا أهمية قصوى، في حين يعمل النظم والتآلف والجناس على تعزيز الصورة التي أراد الأديب رسمها أو الإيحاء بها[19]. وتختلف الصور والمعاني التي تحصل في الذهن باختلاف المتلقين وبيئاتهم وتجاربهم وميولهم وأذواقهم، ومن هنا قد تتعدّد ترجمات الأثر الأدبي الواحد. من صور بيانية تساعد على تجسيم ما يتعلق بالحواس؛ كالصوت واللمس والشم والذوق. وأخيراً تأتي أهمية الموسيقا التي تنتظم في النص من خلال الجناس Alliteration والسجع Assonance والإيقاع Rythm والمحاكاة الصوتية Oromatopeia، وكذلك الوزن Metre والقافية Rhyme في الشعر. وتأتي صعوبة الترجمة في مثل هذه الحالة، لأن المترجم ليس في وسعه تجاهل أي من هذه العوامل الثلاثة التي تعتمد عليها قيمة النص الجمالية، شعراً كان أو نثراً[20]. وللتمثيل على ما تقدّم نورد قطعة من رواية «صورة الفنان في شبابه» A Potrait of the Artist as a youngnan لجيمس جويس James joyce، التي تتحقق فيها الخصائص الثلاث السابقة للنص الأدبي. والقطعة هي:

«وقفت ثابتة وسط اليم أمامه فتاة بمفردها، مرسلة بصرها، في تأمل، إلى البحر، بَدَتْ الفتاة وكأنها قد حوّلت بفعل السحر إلى ما يشبه الطائر البحري، الغريب الجميل، كانت ساقاها الطويلتان الرفيعتان العاريتان، رقيقتين ناعمتين، كساقي طائر اللقلق، وكانتا نقيتين، لا تشوبهما شائبة، لولا أثر لِلوْن زمردي

(18) انظر: عبد العزيز عتيق: في النقد الأدبي، ص118.

(19) See: Delisle, Translation: An Interpretive Approach, p.14.

(20) See: Newmark, Approaches to Translation, p.65.

لطحلب بحري كان قد اتخذ من نفسه علامة على بشرتها. أما فخذاها القصيرتان المتخذتان هيئة العاج في لونه ونعومته، فقد كانتا عاريتين حتى الوركين تقريباً، حيث ظهرت الهُدب البيضاء لسروالها [. . .] القصير وكأنها كساء من وبر ناعم أبيض. كانت تنورتها الزرقاء الأردوازية قد رفعت وربطت في جرأة حول خصرها، فظهرت الأطراف كذيل يمامة خلفها. كان صدرها صدر طائر، ناعم ورقيق، رقيق وناعم كصدر يمامة كسيت بريش داكن اللّون. أما شعرها الطويل الأشقر، فكان كشعر طفلة. وكالطفلة، ظهر وجهها وقد حُفّ بأعجوبة الجمال الخالد»[21].

يصف الكاتب الطريقة التي يقابل فيها أحد شخصيات الرواية الجمال مصادفة، وهو المتمثل في فتاة تقف وسط البحر.

ويتضح من القطعة أن منظر التقاء الفتاة قد حوّل بفعل الرمزية Symbolism من منظر عادي إلى منظر خاص، ظهرت فيه الفتاة في صورة طائر، بما تحمله من معنى رمزي. يقول الكاتب «. . . قد حوّلت بفعل السحر إلى ما يشبه الطائر البحري»، «ساقاها الطويلتان الرفيعتان العاريتان، رقيقتين ناعمتين كساقي طائر اللقلق. . .».

«ظهرت الهدب البيضاء لسروالها [. . .] القصير، وكأنها كساء من وبر ناعم أبيض». «كانت تنورتها الزرقاء الأردوازية قد ربطت. . . حول خصرها، فظهرت. . . . كذيل يمامة. . .».

ذلك هو الانطباع الذاتي الذي أراد الكاتب أن ينقله لنا، وهو يمثل الوظيفة التعبيرية للنص. ويحدثنا الكاتب عن التقاء الجمال من خلال إنتاجه صورة الطائر البحري الجميل، وذلك ما يمثل القدرة الإيحائية للنص، لأنه نجح في تحصيل صورة للطائر الجميل في أذهاننا.

---

(21) Joyce, james, A Portrait of the Artist as a youngman, Wordsworth Editions Limited, Hertfordshire, 1992, p.171.

أمّا فيما يتعلق بأهمية الشكل، فالقطعة غنية بالقيم البلاغية عامة، والصور البيانية خاصة، وهو ما يدل على اهتمام الكاتب بمعجمه.

أما فيما يتعلق ببنية القطعة، فنجد أن الكاتب قد بدأ بوصف ساقي الفتاة، ثم فخذيها، ثم ثيابها حول خصرها، ثم صدرها، ثم شعرها الطويل، ثم وجهها. ومن مظاهر اهتمامه بالمحسنات البديعية، إيراده للتناظر العكسي Chiasum «. . .ناعم ورقيق، رقيق وناعم. . .» وكذلك تغييره لنظم الكلام، وتكراره للفظة طفلة في: «أما شعرها الطويل فكان كشعر طفلة. وكالطفلة، ظهر وجهها. . .»[22].

ذلك نموذج مما يعانيه المترجم في نقل معنى النص الأدبي دلالياً بنفس الحالة التي قصد المؤلِّف أن يكون عليها النص. ويتطلب ذلك من المترجم أن يكون دقيقاً في اختيار كلماته وتراكيبه، حتى يأتي النص المترجم كالحسناء وصورتها في المرآة.

3 ـ أهمية الشكل:

اللغة في النص الأدبي لا يُقصد بها الإبلاغ فقط، بل هي غاية في حد ذاتها، ولذلك جاء شكل النص الأدبي ومضمونه وحدة واحدة لا سبيل إلى انفصال أحدهما عن الآخر، بل يتضافران لإبراز رسالة الأثر الأدبي بالهيئة التي قصد المؤلِّف أن تكون عليها. وبهذه الحالة يكون النص الأدبي قد وجّه لإثارة العواطف والانفعالات، أكثر من قصده إبلاغ الحقائق، كما تفعل النصوص العلمية مثلاً، أو لتوجيه القارئ إلى فعل عمل شيء معين، كما هي الحال في النصوص الندائية. يتمّ كل ذلك من خلال استخدام المؤلِّف للغة استخداماً خاصاً، يتميّز من خلال أسلوبه، الذي يكون في الغالب صدى لشخصيته، ذلك لأن كل أديب له طريقته الخاصة في استخدام مصادر اللغة الإدراكية والجمالية، فيقصد المعاني ويسخر لها الأساليب البلاغية والصور البيانية؛ كالتشبيه والاستعارة والكناية، لتقديمها في قالب مبتدع يُحدث هزة في فكر السامع

(22) See: Delisie, Translation: An Interpretive Approach, p.15.

والقارئ. ولا يقف اهتمام الأديب بالشكل عند هذا الحد، بل يتعدّاه إلى محاولته جعل القارئ يرى صورة مختلفة للعالم الذي يصوّره[23].

والشكل في النص الأدبي هو الذي يصوغ الحقيقة الشعرية Poetic Truth للنص، تلك الحقيقة التي لا يكون لها معنى فعليٌ أو مستقل، بل يتحقق معناها من خلال ارتباطها بمعاني النص الأخرى. وإذا ما أضاع المترجم هذه الحقيقة الشعرية، يكون قد أفسد معنى النص كلّه، لأن ذلك يعني إتلاف دقة التحليل اللغوي Delicacy ورقة الأسلوب الناتجة عن نظم الكلام Word - Order وموسيقاه ومعناه الإدراكي. وتعتمد القيمة الجمالية للنص أولاً على بنية النص؛ وهي خطة النص بأسره، وشكل الجمل وإتّزانها، ثم المجاز وما يتعلّق به.

4 ـ تعدد المعاني والقابلية لتعددية التأويل:

الكلمات في النص عامة هي التي تبتدئ، عندها عملية القراءة، فعملية التأويل، فعملية الترجمة. ذلك أن المترجم، أثناء عملية القراءة، يكون في حالة تفاعل خاصة مع كلمات النص، التي يتفحصها ليتبين وظائفها الدلالية والثقافية ضمن النص[24]؛ أي تحديد معانيها وتحديد أولويات نقل تلك المعاني.

تلك هي الحالة في ترجمة النصوص عامة، أمّا فيما يتعلق بترجمة النص الأدبي، فالأمر له حالة خاصة؛ ذلك لأن النص الأدبي لا يخضع لعملية فهم أو تأويل واحدة، وقد تتعدّد تأويلات النص بتعدّد قرائه، كما هي الحال في اختلاف النقّاد حول تأويل النص وتقويمه، وهو أحد مظاهر التباين بين النص الأدبي وغيره من النصوص. فالنصوص غير الأدبية تكون خاضعة لضوابط معيّنة؛ هي الأغراض المحدّدة التي تُوجَّه تلك النصوص إلى تحقيقها، وتكون تلك الأغراض عادة واضحة، وهو ما يجعلها غير قابلة في القالب للتأويل المجازي، فلا نستطيع، مثلاً، أن نُؤوّل تقريراً علمياً أو وثيقة تاريخية أو صفحة

---

(23) See: Ibid, p.14.

(24) See: Biyuenet, John and Schulte, Rainer, The Craft of Translation, Univ, of Chicago Press, Chicago & London, 1989, p.x.

تعليمات تأويلاً مجازياً، إلا أن يأتي ذلك على حساب الأغراض التي وضعت تلك النصوص من أجلها. أمّا النصوص الأدبية فلا تخضع لمثل هذه الضوابط المحدّدة، لأنها لا تقع ضمن سياق تخاطبي أو إبلاغي معيّن يفرض عليها مثل تلك الأغراض. وفضلاً عن ذلك، فإن الكيفية التي يُقرأ بها النص غالباً ما تكون اختيارية، لأنه لا توجد ضرورة تجبر القارئ للنص الأدبي على أن يتناوله بطريقة معينة. وهذا ما دعا إلى القول إن قراءة النص الأدبي وفهمه هي نوع من التأويل الذاتي، ويتضح ذلك من خلال محاولة الواحد منا إبلاغ الآخرين وإقناعهم بالاستجابة التي تحصّل عليها من قراءة أثر أدبي معيّن[25]. وكلما كان النص الأدبي غنياً بالدلالات الهامشية الخاصة بالمؤلّف والدلالات الهامشية الاجتماعية والثقافية، كانت معانيه أكثر تعدداً، وتأويلاته أكثر احتمالاً وتبانياً.

وقد تختلف تأويلات النص الأدبي الواحد باختلاف الزمان والمكان، لأن في اختلافهما تغييراً للعوامل والمؤثرات المحيطة بقارئ النص أو مترجمة. ومن ثم «فليس هناك اكتشاف أخير في تفسير الأدب، ولكي ننصف عملاً ما فلا بد من شيء من الحرية في تفسيره»[26].

ويُستنتج منم ذلك كلّه جواز تعدّد ترجمات العمل الأدبي الواحد، حتى نضمن انتقال كل جوانب النص الأصلي، ولتجد الآراء المتباينة والأذواق المختلفة فسحة لها في تناول النص وتقويمه.

5 ـ تجاوز النص حدود الزمان والمكان:

على الرغم من أن النص الأدبي هو نتاج زمان ومكان معينين، وهو أيضاً مرآة لهما، فإنه يتجاوز حدود الزمان والمكان[27]، أي إن قيمته بوصفه أثراً أدبياً، لا تتأثر كثيراً بتغير الزمان أو المكان.

---

(25) See: Newton, K.M, Interpreting the Text, Harvester Wheatsheaf, New York, Ist Edit 1990, p.6.

(26) طه وادي: دراسات في نقد الرواية، الهيئة المصرية العامة، للكتاب، 1989، ص206.

(27) See: Delisle, Translation: An Interpretive Approach, p.16.

ذلك لأن رسالة النص الأدبي تتجه إلى عدد غير محدود من القراء، بخلاف النصوص الأخرى التي تكون موجّهة إلى فئة معينة أو نوع محدّد من القراء. والنص الأدبي بنية لغوية قارة بعد انتهاء مؤلّفها من صياغتها[28]، فيصير النص من ثم مستقلاً عن أي سياق إبلاغي أو تخاطبي محدّد. وأهمية اللغة في النص الأدبي كذلك تفوق أهمية ما تحيل إليه. ولموضوع النص الأدبي وما يتعلق به من قيم إنسانية عامة أهمية كبرى في جعل النص الأدبي يتجاوز حدود الزمان والمكان. ومما يؤكد ذلك اهتمامنا المستمر بالشعر القديم كالمعلقات، وقصائد أبي العلاء وقيس العامري، وملاحم كالإلياذة والأوديسة لهوميروس، ومسرحيات شكسبير Shakespeare وروايات تشارلز ديكنز Charles Dickens وتوماس هاردي Thomas Hardy وغيرهم كثير. فإذا كانت هذه من الأدب آثاراً خالدة، فإن في خلودها برهاناً على أن في الأدب ما يجعله يتعدى حدود الزمان والمكان.

وللمقاييس التي نقيس بها الأدب أهمية كبرى في جعله خالداً، وهي تلك المقاييس التي قاسه بها الأولون، وربما قاسه بها اللاحقون، لأن هذه المقاييس لا تتقيد بزمن ولا تتعلق بمكان، بل هي حاجات الأولين الروحية للأدب وحاجاتنا إليه، ومن هذه الحاجات ما هو مرتبط بالفرد ومنها ما هو مرتبط بالجماعة أو الأمة، ومنها ما هو مشترك بين كل الأفراد والجماعات والأمم، ومن الصعب تحديد هذه الحاجات تحديداً قطيعاً، إلا أن ذكر أبرزها فيه ما يكفي لتوضيح كونها مقاييس للأدب عبر العصور والأمكنة. وأولها حاجتنا إلى الإفصاح عن كل ما ينتابنا من أحوال نفسية كالعواطف والانفعالات والتأثرات. ثم حاجتنا إلى الحقيقة لكونها نوراً نهتدي به في حياتنا، وهي حقيقة ما في أنفسنا وحقيقة ما في الكون من حولنا. أمّا ميلنا إلى الجميل في كل شيء، فهو دليل على حاجة كل منا إليه وتلهف نفسه عليه. وأخيراً حاجتنا إلى الموسيقا وميلنا إلى كل ما ائتلف من أصوات وألحان، ونفورنا مما تنافر منها واختلف. تلك

---

(28) انظر: عبد السلام المسدي: النقد والحداثة، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ديسمبر 1983، ص48.

وغيرهما من الحاجات نجدها في النص الأدبي بنوعية؛ الشعري والنثري[29].

وإذا ما أعيدت ترجمة نص أدبي معيّن مرة كل جيل مثلاً، فما ذلك إلا للحفاظ على مضمونه، وبث الحياة من جديد في شكله[30]، و«للتوفيق بين نتاج أدبي من جهة وفكر وإحساس ومجتمع ولغة تطوّرت في غضون ذلك وتبدّلت من جهة أخرى»[31].

6 ـ نقله القيم الإنسانية:

سبقت الإشارة، ضمن الفقرة السابقة، إلى أن أحد أسباب خلود النص الأدبي هو نقله القيم الإنسانية العامة، مثل الحب والخير والصداقة والتضحية والإيمان وشقاء الإنسان وفرحه، والقلق والحرية والوفاء والحياة والموت... وغير ذلك كثير. هذه القيم الإنسانية موضوعات ثابتة تتناولها الإنسانية في كل زمان ومكان، وضمنتها آثارها الأدبية، وتناقلتها الأجيال باعتبارها قيماً لا تبلى، وذلك ما يجعل الفرد منا يولي الأدب هذه الأهمية، فضلاً عن المتعة الجمالية، التي تضفي على تلك القيم كساءً يتأثر بلون الزمان والمكان.

مثل هذه القيم تطرح بطرق فنية، تختلف باختلاف الجنس الأدبي Literary Genre واختلاف مؤلّفه. ومترجم النص الأدبي لا ينجح في أداء مهمته إلا إذا أخذ كل ذلك بعين الاعتبار ووفّق بين الكلمات ودلالاتها والنص ومعناه.

تلك هي أبرز خصائص النص الأدبي التي تميّزه عن غيره من النصوص، غير أن أهميتها في منظور ترجمي تتفاوت بتفاوت تأثيرها في عملية الترجمة نفسها، ونتاج تلك العملية في اللغة المستهدفة. ولا يخفى على أحد مدى تميّز الخصائص الثلاث الأولى على الثلاث الباقية، ذلك لارتباط الخصائص الأولى

---

(29) انظر: ميخائيل نعيمة: الغربال، ص68 وما بعدها.

(30) See: Delisle, Translation: An Interpretive Approach, p.16.

(31) انظر: جوزيف ميشال شريم: منهجية الترجمة التطبيقية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 1982، ص111 ـ 112، نقلاً عن: Mownin. G, Linguistique et Traduction.

بمنشئ النص ووجهة نظره، واستخدامه الخاص للغة، وما يوحي به في فكر السامع أو القارئ. لذلك فإن الاهتمام بالدلالات الهامشية في ترجمة النص الأدبي دون الدلالات المركزية كان من أبرز ما يميز الأدب عن غيره، لأن الأدب رمزي Symbolical مجازي Allegorical، وغيره إحالي Represenational[32] ويمكن اعتبار ما تقدّم من توضيح لخصائص النص الأدبي رداً موجزاً على من يدعي عدم وجود ضرورة للتفريق بين النص الأدبي وغيره من النصوص في الترجمة. ومن الذين يدّعون ذلك بيتر فولكس Peter Foulkes، الذي يرى أن مثل هذا التفريق سيقود في النهاية إلى عرقلة تقدّم نظرية الترجمة عامة[33].

(32) See: Newmark, Approaches to Translation, p.6.

(33) See: Foulkes, Peter, Literary Translation, Is it Different? The Linguist, Vol. 28, No.1, The Institute of Linguists, UK, 1989, p.27.